مجموعة عبد القادر حميدة

نقد : يوسف الشاروني

تتكون هـذه المجموعة القصصية من تسع قصص ، تستطيع ان تلمح بسهولة خصائص مشتركة بينها ، حتى لكانها مستمدة من تجربة واحدة اراد كاتبها ان يعبر عن جوانبها المختلفة او ان يستوعبها ويسيطر عليها وهو يكتب القصة بعد القصة .

من هذه الخصائص ان اكثر القصص تقع احداثها فى قرية بالقرب من دمهور ، واحيانا قليله فى دمهور نفسها ثم فى القاهره كما فى قصة « **اقوى من الحب** » او فى الاسكندرية كما فى قصة « **رغم كل شيء** » . وفى القصص التى تقع احداثهـا فى القرية تبدو مدينة **دمهور** كانما هى الحلم او المثقد للعاطلين والؤساء من اهل القرية. فهم دائما يشدون رحالهم نحوها عندما تضيق الامور فى وجوههم فى القريه .

أما الخاصيه الثانيه المشتركة فهو الشكل القصصى ، فالقصص لا تبـدا من بدايتها الزمنيه ، بل من منتصفها ثم تعود مرتدة الى زمن ماضى لتلتقط تتمتها لما جد من احداث . فالبدايه هى دائما نقطه بين الماضى والحاضر . فاغلب قصص المجموعة تبدأ بتعطل اصحابها عن العمل ثم ترتد الى الوراء لتعرف اسباب هذا التعطل ثم ما تلبث ان تستانف تتمتها لما جد من احداث او نتائج . ولعل الوظيفة الغيبة التى يؤديها هذا الشكل ، هو انه يضع امامنا أولا أهم ما يريد الكاتب ان يكشف لنا عنه، فنحن نحاول تحليل الموضوع اولا ثم اسبابه واخيرا نتائجه

اما الشخصيات فتتشابه كثير منها ايضا ، بعضها يتشابه فى الاسم مثل **مبروك الشرقاوى ويوسف الذكرورى** فى قصتى « **سعدية** » و « **الناس لبعضهم** » ومثل « **رشدى** » فى قصتى « **الليلة السابعة** » و « **حدث ليلتها** » ، وبعضها يتشابه فى الوظيفه مثل وظيفه **ناظر الزراعه** فى قصتى « **سعدية** » و « **الناس لبعضهم** » . واكثرهم يتشابهون فى التعطل عن العمل أو فيما يصيبهم من امراض مثل الشلل بل ان تكوين الاسرة فى اكثر القصص متشابه ، فصورة الاسرة التى تنطبع فى ذهن القارىء بعد الانتهاء من قراءة المجموعة عبارة عن اسرة عائلها مريض او مفقود ترك وراءه زوجة وابنا او اثنين احدهما كبير يمكن ان يحل محل والده والآخر صغير ما يزال فى حاجة الى الرعاية .

لهذا كله نحس قارىء المجموعة أنها تصدر عن تجربة واحدة تعددت محاولات التعبير عنها . الا ان أهم الخصائص المشتركة لتلك القصص التى تضمها هـذه المجموعة يدل عليها عنوانها « **رغم كل شيء** » والاهداء الذى جاء فيه « **الى كل بسمه**

تشرق على قم الانسان برغم كل شيء » قصص المجموعة تدور حول صراع الانسان ضد ظروف تبدو أقوى منه ، ولكنه رغم هذا لا يستسلم بل انه أحيانا ينتصر . وهى ظروف تمليها أسباب اجتماعية حينا وتلتحم فيها القدر بالمجتمع حينا آخر. فالموت أو المرض حدث من أحداث القدر ، ولكن ان يصبح الموت أو الشلل عائل الأسرة فان ذلك تترتب عليه نتائج اجتماعية بالغة لم يعولهم . لهذا فالموتى والمرضى فى قصص هذه المجموعة هم دائما ممن تترتب على ما يصيبهم من كوارث ، كوارث أخرى لغيرهم .

فى **القصة الأولى** قصة « **سعدية** » نجد **محمود** الزوج متعطلا عن العمل لان زوجه الحامل اشتهت أن يحضر لها حوافة من حديقة العمدة التى كان يعمل بستانيا بها ، فضبطه العمدة وطرده . لهذا فهو لم يجد اجر الدابة عندما ولدت زوجته ابنه التى أطلق عليها اسم « سعدية » ويفكر فى قتل العمدة لولا أنه يعرف من أسراره ما هو كفيل من أن يدله به . وعندما ضبطه يتسلل من الكشك الذى تنام فيه الخادمة « **ست ابوها** » ينفس من اعماقه . فقد ضبطه متلبسا بسرقة أحطر من سرقة بعض ثمار الفاكهة لزوجته الحامل .

وفى قصة « **الليلة السابعة** » نجد ان الزوج لم يفقد عمله فحسب بل انه ما لبث ان فقد حياته أيضا فى حادث اشبه ما يكون بالانتحار . لهذا فالقصة ـ بدلا من أن تتلقاها القارىء من زاوية الزوج المتعطل كما فى القصة السابقة ـ فانه يتلقاها من زاوية ابنه الطفل رشدى وزوجته مسعودة .

وفى قصة « **الأب** » نجد الأب يصاب بالشلل فيتعطل وبالتالى يتعطل ابنه عن الدراسة ليبحث عن عمل ، ويقع عليه عبء اعالة والده المريض ووالدته واخيه الصغير ، حتى يجد عملا كحفار فى محلج ، وبالرغم من هذه الظروف يواصل دراسته حتى ينجح فى التوجيهية . ثم يلتحق بكلية الحقوق ينتهى بعمل فى الوقت نفسه بمدرسة خاصة حتى تخرج وتزوج وأنجب . وعندما مات أبوه كان ابنه **هشام** يشب باعوامه الخمسة يحاول أن يرى جده !! جيل يذهب وجيل يقبل وتيار الحياة مستمر .

وفى القصة « **أقوى من الحب** » نجد بطلها **محمود** تخطب له امه ـ بعد خلاف مرير مع ابنه ـ ابنة اخيها **سعاد** . وهو ما يزال طالبا . وفجاة يصاب الأب بالشلل ـ كما فى القصة السابقة فيتعطل عن عمله ويقع على كاهل الابن هذا أيضا عبء اعالة الأسرة . ويحاول ان يتخلص من خطيبته لأنه لا يحبها ولأن ما حدث عليه من ظروف لا يساعده على اتمام هذا الزواج ، لكنه لا يتخذ خطوة حاسمة ، ثم يتزوجها ويقع فى هوى امراة اخرى . ورغم كل ذلك ما تلبث الألفة أن تحلب فى النهاية على ثروة الحب .

وفى قصة « **حدث ليلتها** » يتعطل الأب عن العمل ، لكنه يتعطل هذه المرة لأنه كان يثير التلاميذ ضد **معاهده صدقى ـ بيفن** فيلقى به فى السجن ، وكان على الابن الأكبر أن يتولى اعالة امه واخيه الأصغر ، وكما أن الطفل فى قصة « **الليلة السابعة** » كان نائما فلم يشهد أباه وهو يودع امه ليترك القرية متجها الى **دمنهور** بحثا عن عمل ، حتى انه كان يستطرد كل ليلة ولا يعرف انه مات تحت عجلات

انتظار . كذلك فان ملاح الصغير في قصة « **حدث ليلتها** » كان مالما ايضا فلم يشهد القاء القبض على ابيه ، ولكنه عرف من اسناد له بالمدرسة ما اخفاه عنه أخوه وأمه .

وفي قصة « **الناس لبعضهم** » يتعطل الاب **هنا أيضا** لانه طالب مالك الأرض التي يعمل ناظرا لزراعتها بزيادة اجره . ورغم ان زوجته كانت مريضة في حاجة الى ثمن العلاج الا انها كانت تعارض في أن تقبل زوجها ما يقدمه له الفلاحون من هدايا وهم في حاجة اليها . ولهذا طالب صاحب الأرض بزيادة أجره فطرده . وكانما اراد الفلاحون أن يردوا الجميل للزوجة التي يريد لزوجها الا يمس املاكهم ، فقاموا بمظاهرة طالبوا فيها بارجاع ناظر الزراعة الى عمله وتخفيض ايجاراتهم . وعندما **استجاب الباشا** للمطلب الأول اكتفوا بذلك على أن يتم النظر في المطلب الثاني فيما بعد . وبعد مضي سنوات طوال يتعطل الأب من جديد بسبب اصابته ثم ما لبث أن مات تاركا وراءه — كما رأينا في اكثر من قصة — زوجته وابنا كبيرا وآخر صغيرا .

أما القصة الاخيرة التي اطلق عنوانها على المجموعة فالوالد فيها لا وجود له من بداية القصة ، والمريض هذه المرة هو الأم . ومرض الأم يعرض ابنها لامتحان عسير . فهي تحتاج الى دواء ثمنه ليس في جيب ابنها ، ووظيفة ابنها تتيح له ان يرتشي اذا اراد ، لكنه رغم طروفه — **برغم كل شيء** — يتغلب على نفسه وعلى ما يعرض له من اغراء .

ولعل أجمل قصص المجموعة قصة **ايام الحرب** . وبالرغم مما يبدو للنظرة الأولى أنها تختلف في موضوعها عن بقية القصص الا ان النظرة الثانية ما تلبث ان تكشف الموضوع الواحد المشترك بينها وبين القصص الأخرى . فهي تتناول علاقة عاطفية تمت في سن مبكرة ثم واتتها الظروف لتعود وتسقط من جديد بعد ثمانية عشر عاما . **وطبقا للشكل الذي ساد قصص المجموعة ، تبدأ القصة بالتقاء ممدوح بمحاسن صديقة طفولته في روضة أطفال بالدقي بعد ثمانية عشر عاما من فراقهما . ثم ما تلبث ان ترتد الى أيام الحرب العالمية الثانية حين هاجرت اسر من الاسكندرية الى دمنهور ومن بينهم الطفلة محاسن وامها ، أما الوالد فهو — كما في قصص اخرى بالمجموعة — قد مات بسبب الحرب** . وتنمو علاقة عاطفية بين الصبي والصبية غير ان الحرب ما تلبث أن تنتهي فتقطع هذه العلاقة بعودة **محاسن** وامها الى **الاسكندرية** حيث تصاب **محاسن** بصدمة من مخلفات الحرب لتطيح بذراعها اليمنى . وتعود الى الحاضر فيعاود كل منهما بأن الآخر قد اطلق اسمه على طفله . **محاسن** اطلقت اسم **ممدوح** على طفلها و**ممدوح** اطلق اسم **محاسن** على طفلته . وتختتم القصة **ومحاسن** تصافحه بذراعها اليسرى وهي تقول « **الا ترى ان هناك علاقة كبيرة بين الحرب والحب** » كلاهما ينتهي لكنهما تركان آثارهما علينا . وكأن الكاتب يقول لنا انه برغم هذه السنين ، برغم ان كلا منهما تزوج وأحب . برغم هذه الظروف فان الحب قد طبع آثاره على كل منهما مثله في طفليهما كما طبعت الحرب آثارها على محاسن فبترت ذراعها اليمنى .